

السبـت 19-09-2009

## !!! "الأكل معا": من الحوار إلى التسويق إلى المذلة!!!

### تعنـعـة الدـسـتوـر

هل هناك شك أن الأكل غريزة بقائية تحافظ على الحياة عند الحيوان والإنسان على حد سواء؟

امتحن الإنسان بمحنة الوعي، (وبالعقل الحديث وبعض الإرادة)، فراح يتدخل في عمل وإعادة تشكيل غرائزه وسلوكه سلبا وإيجابا، حتى جاوز الأكل وظيفته من سد حاجة الجوع، إلى وظائف أخرى انتبه إليها معظم من تناولوا النظر في الطبيعة البشرية، كل بطريقته. خذ مثلًا سيمون فرويد وتركيزه على المرحلة الفقهية، وربطها بعلاقة الطفل بأمه، ثم تفسيراته لتجليات وسلامة أو صعوبة المرور بهذه المرحلة "الفقـهـيـة" (من الفم) وما يرتبط بذلك من أمان، أو توجس أو جنس أو حب، أو جنون... إلخ، خذ مثلًا إمراضية (سيكوباثولوجيا) أخرى وهي: تخريب الرعب الكامن وراء سلوك المجمع للجماع (التراكم الاغتراب، التملك الاستهلاكي الكمي المتزايد، الرأسمالية الفائقة العميماء، وما وراء كل ذلك من رعب جنون ضلل كامن هو: "الخوف من الموت جوعاً... إلخ

الإنسان، بوصفه كائنًا اجتماعيًا، اخترع للأكل وظيفة أخرى، تكمل اكتسابه للوعي، وهو أن تكون عملية الأكل فرصة للتذكرة أن الإنسان لا يكون إنسانا إلا مع إنسان آخر، يتجلى ذلك مباشرة في الجنس، لو مارسه الإنسان بما يميز وظيفته الأرقى: للتواصل، وليس فقط، للتکاثر. "الأكل معا"، هو أيضًا للتواصل وليس مجرد سد الجوع، طبعا علينا لا ننسى أن هناك من لا يجد ما يأكله أصلا، ومع ذلك فأغلب هؤلاء الذين لا يجدون ما يأكلونه يمارسون "الأكل معا" أفضـلـ كثـيرـاـ: تحت ظل شجرة في عز الظهر، ينادي عم عبد الرحمن الواد عبد ربه وهو يتغنى عرقا، أن: "تعالى ياذ، وهـاتـ البـصـلـةـ الـلـيـ معـاكـ آـنـاـ عـنـدـيـ غـمـوسـ جـبـنـةـ نـعـمـلـ غـدـيـوـةـ"، وهـاتـ يـاـ أـكـلـ مـعـاـ. وهـاتـ يـاـ إـنـسـانـ.

تعلمت من السنة اليتيمة التي قضيتها في فرنسا متقدلا بين ربوعها كلها لحوالي خمسين "نهاية أسبوع" معنى أوسع "الأكل" و"الأكل معا". في فرنسا، للأكل هناك مواعيد منضبطة،

يـالـثـانـيـة تـقـرـيبـاـ، الـغـداءـ السـاعـةـ 12ـ ظـهـراـ، حقـ لـوـ كـنـاـ أـفـطـرـنـاـ السـاعـةـ عـشـرـةـ صـبـاحـاـ، مـاـ وـصـلـنـاـ مـنـ ذـلـكـ هوـ أـنـ "ـفـعـلـ الأـكـلـ"ـ هوـ قـيـمـةـ خـتـمـةـ فـذـاهـهاـ.

رويدـاـ روـيدـاـ تـعـلـمـتـ، خـاصـةـ مـنـ رـحـلـاتـ نـهـاـيـةـ الـأـسـبـوعـ، أـنـ لـلـأـكـلـ وـظـيـفـةـ أـخـرـىـ:ـ فـهـوـ "ـاحـتـفـالـيـةـ اـجـتـمـاعـيـةـ"ـ،ـ وـاـنـهـ كـثـيرـاـ مـاـ يـكـوـنـ مـعـداـ خـصـيـصـاـ لـيـتـمـ مـنـ خـالـلـهـ وـحـولـهـ إـنـخـازـ مـاـ،ـ حـوـارـ مـاـ،ـ كـمـاـ نـسـمـعـ أـحـيـانـاـ عـنـ "ـغـذـاءـ عـملـ"ـ أـوـ "ـعـشـاءـ عـملـ"ـ،ـ هـذـاـ عـلـىـ مـسـتـوـيـ رـجـالـ الـأـعـمـالـ وـالـسـاسـةـ،ـ ثـمـ تـمـتـ الـمـسـأـلـةـ لـسـائـرـ الـنـاسـ،ـ فـيـمـاـ يـسـمـيـ "ـعـشـاءـ لـلـحـوارـ Diner Du Debatـ"ـ،ـ كـانـتـ عـمـلـيـةـ "ـالـأـكـلـ مـعـاـ"ـ،ـ خـاصـةـ فـيـ رـحـلـاتـ نـهـاـيـةـ الـأـسـبـوعــ،ـ تـسـتـغـرـقـ وـقـتـاـ طـوـيـلـاـ يـصـلـ إـلـىـ أـكـثـرـ مـنـ سـاعـةـ،ـ أـمـاـ إـنـ كـانـ "ـالـغـداءـ لـلـحـوارـ"ـ فـقـدـ تـصـلـ الـمـدـدـ إـلـىـ أـكـثـرـ مـنـ سـاعـتـيـنـ،ـ وـهـمـ يـقـدـمـونـ الـأـطـبـاقـ إـذـ ذـاكـ بـبـطـءـ شـدـيدـ مـقـصـودـ لـتـحـقـيقـ الـغـرضـ.

فـ إـحـدىـ الرـحـلـاتـ،ـ فـ جـنـوبـ فـرـنـسـاـ،ـ فـ قـرـيـةـ سـكـانـهـاـ بـضـعـةـ آـلـافـ،ـ دـعـانـاـ الـعـمـدـةـ إـلـىـ الـعـشـاءـ لـنـنـاقـشـ مـشـكـلـةـ هـامـةـ جـداـ،ـ كـنـاـ أـرـبعـينـ "ـمـنـوـحاـ"ـ مـنـ اـثـنـيـنـ وـعـشـرـينـ دـوـلـةـ أـغـلـبـنـاـ مـنـ الـعـالـمـ الـثـالـثـ،ـ بـإـضـافـةـ إـلـىـ مـنـ يـهـمـهـ الـأـمـرـ مـنـ أـهـلـ الـقـرـيـةـ!ـ،ـ أـيـ أـمـرـ هـذـاـ الـذـيـ يـدـعـونـاـ الـعـمـدـةـ مـعـ أـهـلـ الـقـرـيـةـ لـنـنـاقـشـهـ؟ـ؟ـ لـاـ تـتـعـجـبـ مـنـ فـضـلـكـ،ـ كـانـ الـأـمـرـ هـوـ:ـ حـوـ الـأـمـيـةـ فـ هـضـبـةـ التـبـتـ،ـ أـيـ وـالـلـهـ،ـ غـنـنـ فـرـنـسـاـ،ـ فـ قـرـيـةـ هـامـشـيـةـ،ـ وـكـانـ الـعـمـدـةـ مـتـحـمـسـاـ وـكـانـ أـوـلـادـهـ مـنـ ظـهـرـهـ هـمـ الـذـيـنـ لـاـ يـفـكـوـنـ اـخـطـ،ـ شـعـرـتـ بـأـخـجلـ مـاـ فـعـلـتـهـ بـأـوـلـادـهـ حـينـ حـرـمـتـهـ مـنـ أـنـ يـتـعـرـفـواـ عـلـىـ مـعـ أـمـهـمـ،ـ وـعـلـىـ بـعـضـهـمـ الـبـعـضـ،ـ بـأـنـ نـأـكـلـ مـعـ يـوـمـيـاـ وـجـبـةـ مـدـدـهـ فـ سـاعـةـ مـدـدـهـ،ـ وـهـنـاـنـاـ أـعـتـدـلـهـمـ بـعـدـ فـوـاتـ الـأـوـانـ.

فـ رـمـضـانـ،ـ تـعـوـدـ "ـلـلـأـكـلـ مـعـاـ"ـ وـظـيـفـتـهـ الـأـنـسـانـيـةـ "ـكـاحـتـفـالـيـةـ اـجـتـمـاعـيـةـ"ـ بـشـكـلـ أـوـ بـأـتـرـ،ـ حـينـ أـفـطـرـ فـيـ الـمـسـيـنـ،ـ وـأـنـظـرـ حـولـ لـأـرـىـ كـيـفـ يـتـحـوطـنـ حـوـالـ رـبـعـ الـجـالـسـيـنـ عـلـىـ الـمـوـائـدـ فـ الـسـاحـةـ مـنـ الـأـجـانـبـ،ـ وـهـمـ يـنـتـطـرـونـ مـثـلـنـاـ الـأـذـانـ قـبـلـ أـنـ يـضـعـواـ شـيـنـاـ فـ فـمـهـمـ،ـ أـفـرـحـ جـداـ بـالـحـوارـ الصـامـتـ جـداـ جـداـ.

أـمـاـ حـينـ أـدـعـيـ لـلـسـحـورـ فـ فـنـدقـ سـبـعـةـ بـحـوـمـ لـتـدـشـيـنـ عـقـارـ جـديـدـ ثـمـ حـقـنـتـهـ سـبـعـمـائـةـ وـخـمـسـيـنـ جـنـيـهـاـ،ـ بـعـدـ أـنـ أـشـاعـواـ -ـ زـيفـاـ عـلـمـيـاـ -ـ أـنـ لـلـعـقـارـ الـقـدـيمـ (ـثـمـ حـقـنـتـهـ 22ـ جـنـيـهـاـ،ـ وـهـوـ أـكـثـرـ فـأـعـلـيـةـ)ـ آـثـارـاـ جـانـبـيـةـ كـذـاـ وـكـيـتـ،ـ أـحـزـنـ حـزـنـاـ شـدـيدـاـ،ـ حـتـىـ أـنـقـىـ لـمـ أـعـدـ أـذـهـبـ اـصـلاـ.

الـوـجـبـاتـ السـرـيعـةـ،ـ (ـوـالـسـانـدـوـتـشـاتـ عـمـومـاـ)ـ قـضـتـ عـلـىـ وـظـيـفـةـ الـأـكـلـ كـاحـتـفـالـيـةـ اـجـتـمـاعـيـةـ

أـمـاـ مـوـائـدـ الـرـجـمـنـ،ـ مـهـماـ قـوـطـتـهـ النـوـاـيـاـ الـطـيـبـةـ،ـ وـالـكـرـمـ الـمـلـعنـ،ـ فـهـىـ اـمـتـحـانـ خـطـيرـ لـلـفـقـرـ،ـ وـالـكـرـامـةـ،ـ وـالـرـشـوةـ،ـ وـالـبـدـائـيـةـ،ـ وـالـنـفـاقـ،ـ وـالـتـدـينـ.

وـكـلـ عـامـ وـأـنـتـ مـجـراـ !!